# محنة الموريسيكيون في صيام شهر رمضان

**إعداد**

**أ.م.د قاسم عبد سعدون الحسيني**

**جمهورية العراق جامعة ميسان / كلية التربية قسم التاريخ**

**الموريسيكيون وصيام شهر رمضان .**

لبثت السياسة الاسبانية بعد سقوط غرناطة [١]، بيد الأسبان سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م ، وبعد أنّ حقق الأسبان أعظم أمانيهم القومية بإنهاء الحكم الإسلامي في الأندلس ، كرست السلطات الأسبانية جهودها كافة لتحقيق مشروعها السياسي المتمثل بالقضاء على الإسلام في اسبانيا النصرانية ، ولأجل ذلك عملت الحكومات الإسبانية القيام بحملات تبشيرية لتنصير المسلمين المقيمين في اسبانيا ، الأمر الذي لم يتم التطرق لهُ في معاهدة تسليم غرناطة [٢] ، وأهملهُ المفاوض الأسباني ظناً منهُ أنَّ الزمن كفيل بأنّ يفرض على المسلمين الخاضعين للحكم الأسباني أسوأ من الوضع الذي أعُترف لهم بهِ في معاهدة التسليم، وقد سعت السياسة الاسبانية أنّ تسبغ محاولاتها لتنصير المسلمين والأمل في تعايشهم مع النصارى الأسبان ، والانسجام معهم واعتناق الديانة النصرانية بشكل طوعي، فأخذت في تحوير العهود والنصوص التي تضمنتها معاهدة التسليم وتعديلها وتفسيرها بطريق التعسف والتحكم، ثم العمل على خرقها نصاً فنصاً [٣]، إذ كانت السلطات الأسبانية حريصة على أنّ تكون اسبانيا دولة كاثوليكية المذهب لا تتسع لأصحاب الديانات الأخرى ، بل لا تتسع للمسيحيين من أصحاب المذاهب الأخرى [٤]، ولأجل ذلك بدأت المحاولات بتنصير من تبقى من المسلمين بوسائل متعددة [٥] .

---

[١] غرناطة : مدينة بالأندلس بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً وهي من مدن البيرة ، وهي محدثة من أيام الثوار بالأندلس وإنما كانت المدينة المقصودة إلبيرة فخلت وانتقل أهلها إلى غرناطة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، ٢/ ٣٧١-٣٧٢ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٥ .

[٢] للمزيد من المعلومات ومعرفة شروط هذهِ المعاهدة ينظر : مجهول ، نبذة العصر ، ص٥٤ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٤/٥٢٥-٥٢٦ ؛ عنان ، نهاية الإسلام ، ص٢٢٩-٢٣٠ ؛ حتاملة ، الأندلس التاريخ والحضارة ، ص٦٢٥ ؛ الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص٦٥-٦٧ .

[٣] مجهول ، نبذة العصر ، ص٥٤ ؛ لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢٦ ؛ عنان ، نهاية الأندلس ، ص٢٩٨ .

[٤] براتشينا ، الموريسكيون الاسبان ١/ ١٥ .

[٥] الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص٧٢ ؛ بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، ص١١٠ .

شددت السلطات الأسبانية الضغط على مسلمي الأندلس ، وأخذ الاعتقال والتعذيب يطأ الجميع كخطوة لإجبارهم لترك الدين الإسلامي واعتناق النصرانية ، فتدهورت أحوال المسلمين ، وأصبح الوضع العام ينذر بالخطر وبات يلوح في الأفق إعلان ثورة ضد السلطات الأسبانية ، فاندلعت الثورة الأندلسية الأولى سنة ٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م[٦] ، كان من نتائجها أنّ فشلت هذهِ الثورة وقمعت بشدة من قبل السلطات الأسبانية ، وأصدرت الملكة إيزابيلا مرسوم التنصير الشهير سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م الذي خُير فيهِ المسلمون بين اعتناق النصرانية أو الرحيل عن أرض اسبانيا[٧] ، لذا لم يكن أمام البعض خياراً سوى التظاهر باعتناق الديانة النصرانية ولو بالظاهر ، وممارسة العادات والتقاليد والشعائر الإسلامية سراً[٨] ، ومنذُ تلك اللحظة أطلق على هؤلاء المسلمين مصطلح المورسيكيون أي النصارى الجدد[٩] ، علماً إنَّ كلمة مورو كلمة تصغير تستخدم للتحقير[١٠]، رغم تظاهر المسلمين باعتناق النصرانية إلا أنَّ السلطات الأسبانية شرعت باضطهادهم والتنكيل بهم عن طريق محاكم التفتيش الأسبانية[١١] وحددت السلطات الأسبانية كل من يقوم بتطبيق فرائض الدين الإسلامي أو ممارسة العادات والتقاليد الإسلامية فأنهُ يكون محاطاً بالشبهات ويُطارد من قبل عمال محاكم التفتيش الأسبانية .

**محاكم التفتيش الاسبانية ثمن العقيدة الدينية .**

---

[٦] بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، ص١١٣ومابعدها .

[٧] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٤٣ ؛ طه ، حركة المقاومة العربية ، ص٣٥ .

[٨] السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٣٠٧ .

[٩] حول مفهوم مصطلح الموريسكيين ينظر : كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص١٥٠ ؛ قشتيليو ، الموريسكيون ، ص١٩ ؛ الحايك ، الدراسات الموريسكية ، ص ٢٥ .

[١٠] الكتاني، انبعاث الإسلام ، ص٧٨؛ بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ،ص١٦ ؛ عبد الكريم ، الموريسكيون،ص٦-٨

[١١] محاكم التفتيش الاسبانية : يُعد إنشاء هذه المحاكم جزءاً من الحركة الإصلاحية التي قادها البابا كريكوري التاسع *Gregory xi* (١١٤٨م _ ١٢٤١ م) ، إذ أمر هذا البابا خادمته الملكة إيزابيلا بتأسيس محكمة تفتيش تأتمر بإمرته ، ولكن تعصب هذه الملكة وكرهها للدين الإسلامي قد دفعها إلى رفض هذا الأمر،لأنها كانت تريد تأسيس محكمة تفتيش تأتمر بإمرتها لا بإمرة البابا ، لذلك لم يجد البابا سيكستوس الرابع *Sixtus IV* (١٤٧١م _١٤٨٧ م) ، مفراً من الموافقة على طلب الملكة إيزابيلا بإقامة محكمة تفتيش قشتالية في شهر ذي الحجة عام ٨٨٣ هـ الموافق تشرين الثاني / ١٤٧٨م ، وبتشكيل هذه المحكمة على ارض قشتالة بدأت معاناة الموريسكيين على يد عمال هذه المحاكم . ينظر : رائف ، وتذكروا من الأندلس ، ص٢٥٤ .

دلت الأبحاث والدراسات التاريخية التي تناولت حياة الموريسيكيين الدينية اعتمادا على ما ذُكر في محاضر محاكم التفتيش الاسبانية ، أن الموريسيكيون رغم ظروفهم الصعبة ، وكثرة المراسيم الملكية التي صدرت ضدهم والتي تستهدف إنهاء هويتهم الدينية والقضاء على شخصيتهم الإسلامية ، إلا أنهم ظلوا متمسكين بمبادئ دينهم الإسلامي ، وعاشوا بشكل مميز اختلف عن ما كان سائد في اسبانيا الأمر الذي تسبب في نقمة المجتمع الاسباني آنذاك على الإسلام والمسلمين في اسبانيا ، إذ شكل صيام شهر رمضان أحد التهم الموجهة للمورسيكيين في معظم القضايا التي حققت فيها محاكم التفتيش الاسبانية .

يُعد صيام شهر رمضان واحداً من العبادات الأكثر رسوخاً في حيات الموريسيكيين الدينية ، وصارَ سمة مميزة لهويتهم الإسلامية إذ حافظَ الموريسيكيون على صيام هذا الشهر الفضيل، والتزموا بأحكامهِ ، وكانوا ينتظرونه بترقب شديد، ويفرحون بقدومهِ ، ورغم ذلك فكثيراً ما تسبب هذا الشهر بمحاكمة عدد كبير منهم فقد كان هذا الشهر بلا أدنى شك هو شهر العبادة الإسلامية الأكثر ارتباطاً بحياتهم الدينية[١٢]، إضافة إلى كونه فريضة إسلامية مهمة فمن يحافظ عليهِ يسطبغ بصبغة خاصة ، تجعله يتميز بملمح إسلامي مميز ، فصيام شهر رمضان يرتكز أساساً على الامتناع عن الطعام والشراب والابتعاد عن المحرمات، والمحافظة على ذلك من الفجر إلى الليل[١٣] .

كان لأدب الالخميادو[١٤] دوراً مهماً في توعية الموريسيكيين وترسيخ العقيدة الإسلامية من خلال بيان مكانة شهر رمضان في نفوس المسلمين ، وما لصيام هذا الشهر الفضيل من أهمية كبرى ، وقد تجسد ذلك بالقول : (( وشهر رمضان يا أخواني هو شهر طهارة الأجساد من الذنوب طهارة كاملة ، وهو شهر الخير والغفران والامتنان من الله ، وهو شهر إعانة الفقراء ، وإكرام الضيف وشهر تفتح فيهِ أبواب الجنات وتغلق أبواب النيران ...))[١٥]، ويوضح لنا أدب الالخميادو كيف كان الموريسيكي يعلم أخاه استقبال شهر رمضان ، وكيف يغتنمهُ وماذا يجب عليه أن يعمل الأمر الذي يجسده مخطوط

---

[١٢] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٦٦ .

[١٣] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٦٦ .

[١٤] الالخميادو : هي تحريف اسباني لكلمة الأعجمية ، وهي اللغة التي ابتدعها الموريسيكيون من أجل الحفاظ على نسخ القرآن الكريم وتراثهم الإسلامي ، وللمزيد من المعلومات ينظر : عنان ، نهاية الأندلس ، ص٤٧٤ ؛ ريناو ، اللغة الأعجمية ، ص١٧ ومابعدها ؛ سراج الدين ، التراث الموريسكي ، ص١٧ ومابعدها .

[١٥] عبد اللطيف ، الهوية الإسلامية ، ص١٦٠ ، بالاعتماد على المخطوط رقم ٥٢٢٣، مكتبة مدريد الوطنية رقم ٣٢.

الخميادو بالقول: (( أيها الإخوة الأحباب عندما يهلُ علينا شهر رمضان المعظم يجب أنّ تصوم جوارحكم عن الذنوب والخطايا كما تصوم بطونكم عن الطعام ، ويجب عليكم أنّ تشكروا نعمة الله عليكم ، وأن تقوموا ليله مصلين كما تقضوا نهاره صائمين)) . وهناك نص آخر في نفس المصدر يقول : (( عباد الله ...، اغتنموا هذا الشهر فهو شهر عند الله عظيم وعد الله فيهِ عباده بالجزاء العظيم ومغفرة الذنوب والعتق من النار)) [١٦] . وفي نص آخر ورد ذكر صيام شهر رمضان بالقول : (( لا يفهمنَّ أحد أنَّ الصيام مجرد امتناع الإنسان عن الأكل والشرب وجماع الزوجة ، بل عليهِ أنَّ يعلم بوجوب صيام عينيهِ ولسانهِ وسمعهِ ويديهِ ورجليهِ وسائر الجوارح)) [١٧] ولم يكتفِ النص عند هذا الحد بل شرح كيفية صيام الفرد المسلم قائلاً : (( وعليك أنَّ تعلم أنَّ صيام العينين هو إلا تنظر بهما إلى حرام ،ولا تنظر إلى مسلم أو مسلمة بعين الكبر أو الاحتقار أو التهديد ، وصوم اللسان هو أنّ تمتنع عن الكذبِ واللغو وأنّ تتجنب الغيبة والنميمة وفُحش القول ، وصيام السمع هو إلا تستعمله في سماعِ السوء أو التصنت على الخلقِ ، وصيام اليدين هو إلا تمدهما لأذى أحد من المؤمنين ، ولا تأخذ بهما ما ليس من حقك ، وأنّ تستعملهما في إرضاء الله تعالى ، وصيام القدمين هو إلا تمشي بهما لتضر أحدا، ولا تستعملهما إلا فيما يرضي الله)) [١٨] . يتضح مما تقدم أنَّ الموريسيكيين كانوا ملتزمين التزاماً كبيراً في صيام شهر رمضان ، مؤكدين على صيام الجوارح والابتعاد عن المعصية ، والترفع عن ارتكاب المحرمات ، وهذا دليل على التزامهم بتعاليم الدين الإسلامي وتطبيق شريعة الإسلام المحمدي الأصيل .

تبدأ معاناة الموريسيكيون في صيام شهر رمضان بدءاً من مراقبة الهلال حتى انتهاء صيام هذا الشهر الفضيل ، إذ شكلت مراقبة الهلال مهمة صعبة ومحفوفة بالمخاطر ، نظراً لانتشار الجواسيس والوشاة الذين يتربصون بكل الحركات التي يقوم بها الموريسيكيون ، لا سيما هذهِ التي توحي بأنَّ فاعلها مسلم ، إذ كان الموريسيكيون يذهبون إلى أماكن مرتفعة ليتمكنوا من مشاهدة الهلال ويتناقشون فيما بينهم حول رؤيتهِ، الأمر الذي تسبب بمحاكمة عدد ليس بالقليل منهم ، وقد حفلت سجلات محاكم التفتيش الاسبانية بوثائق كثيرة حول رؤية هلال شهر رمضان ، أو صيام هذا الشهر الفضيل إذ يذكر أنَّ

[١٦] عبد اللطيف ، الهوية الإسلامية ، ص١٦٠- ١٦١ ، بالاعتماد على المخطوط رقم ٥٢٢٣، مكتبة مدريد الوطنية رقم ٣٢.

[١٧] عبد اللطيف ، الهوية الإسلامية ، ص١٦١ ، بالاعتماد على المخطوط رقم ٥٢٢٣، مكتبة مدريد الوطنية رقم ٣٢.

[١٨] عبد اللطيف ، الهوية الإسلامية ، ص١٦١ ، بالاعتماد على المخطوط رقم ٥٢٢٣، مكتبة مدريد الوطنية رقم ٣٢.

في سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م ، تم القبض على سكان نصف قرية مسلاته[١٩] ، لأنهم خرجوا إلى أماكن الفضاء لرؤية هلال شهر رمضان ، ولما دار جدل حول ظهور الهلال من عدمهِ ، أنقسمَ السكان إلى جماعات متفرقة وبدأت كل جماعة تدافع عن موقفها بصوتٍ عالٍ وبالتالي علمت السلطات بما حدث وأمرت بإلقاء القبض عليهم ، وزجهم في السجن استعداداً لمحاكمتهم[٢٠] .

سجلت محاكم التفتيش الاسبانية عدداً من القضايا والتهم التي تتجسد فيها محاولة الموريسيكيون رؤية هلال شهر رمضان ، إذ عُثر على وثيقة في سجلات هذهِ المحاكم نصت على أنْ سيدة موريسيكية تدعى ماريا دي اليخير Maria de Aligera ، تم القبض عليها وهي تتشوق لرؤية الهلال ، لتبدأ بصيام شهر رمضان[٢١] . وعُثرَ في السجلات أيضاً على وثيقة تخص شاب يُدعى فرانسيكيو القرطبي Francisco Cordobe ، الذي كان يصوم شهر رمضان كاملاً ، وتم التبليغ عليه من قبل جيرانه ، بعد أنّ عرفوا بأنهُ مسلم ، ويخفي إسلامه عليهم فقُبضَّ عليهِ وجيءَ به إلى محكمة التفتيش وبدأ التحقيق معهُ وأنكرَ في بادئ الأمر إسلامه ، إلا أنّهُ لم يستطع تحمل التعذيب فأعترفَ بإسلامهِ وأنهُ تكتمَّ عليهِ خوفاً من افتضاح أمرهِ ، وأنَّهُ يصوم شهر رمضان ، وكثيراً ما كانت تُعرض عليهِ في شهر رمضان دعوات من جيرانهِ لتناول طعام الغداء إلا أنه يرفض ذلك بحجج متعددة منها : أنَّهُ فاقداً للشهية ، أو أنَّهُ أكل قبل قليل في مكانٍ آخر[٢٢] . ويبدو أن هذهِ الدعوات ليست للتعبير عن حب الجيران لفرانسيكيو القرطبي واحترامهم له ، وإنها لم تُعرض عليه قبل حلول شهر رمضان ، وعُرضت من أجل كشف أمره ومعرفة إسلامهِ وتبليغ السلطات الاسبانية بهذا الصدد ، حيث أنَّ شهر رمضان كان الشهر الأنسب بالنسبة لعمال محاكم التفتيش الاسبانية الذين كانوا يكثفون جهودهم في هذا الشهر، لأجل أن يتحروا ويكشفوا عن إسلام الموريسيكين لإلقاء القبض عليهم وزجهم في سجون تلك المحاكم .

حافظ الموريسيكيون على صيام شهر رمضان والتزموا بتعاليمهِ ، غير آبهين للتحديات والمخاطر التي كانت تحيط بهم من قبل السلطات الاسبانية ، ورغمَ وضعهم وظرفهم الصعب، وكثرة الاتهامات التي كانت تطال الكثير منهم بسبب الصيام إلا أنهم لم يقتصروا على صيام شهر رمضان فقط بل كانوا

[١٩] لم أجد تعريفاً لها في كتب البلدان .

[٢٠] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٦٦ .

[٢١] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٦٦ .

[٢٢] كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص٢٥ .

يتعدون ذلك إلى صيام أيامٍ أُخر من السنة موقنين بأنَّ ذلك دليل على قوة الإيمان وحافزاً على الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي، وسبباً في الفوزِ بعظيم الجزاء وغفران الذنوب . فما أنَّ ينتهي شهر رمضان وتنتهي أيام عيد الفطر التي كانوا يلبسون فيهِ أفضل الثياب ويعطون الصدقات لفقرائهم ، حتى يبدى المتدينون منهم بصيام ستة أيام بعد العيد وكانوا يسمونها الأيام البيض ، إيماناً واعتقاداً منهم أنَّ صيام هذهِ الأيام توجب لهم جزاء يعادل أو يفوق جزاء صيامهم شهر رمضان[٢٣] .كذلك أحيا الموريسيكيون صيام يوم عرفه من ذي الحجة إذ كانوا يعلمون تماماً مكانة هذا اليوم عند المسلمين وثواب صومه عند الله تبارك وتعالى وكانَّ المتدينون منهم يصومون ثلاثة أيام من كل أسبوع وعلى طوال السنة ، ومن الشائع عندهم أيضاً صيام ثلاثة أيام خميس من شهر شعبان كتطوع قربة إلى الله[٢٤] . ولم يكتفوا بذلك بل دأبوا على صيام العاشر من محرم واعتبروه يوم مبارك ومن يصومه يصل إلى منزلة الشهداء[٢٥] ، وهناك صياماً آخر عُرف بهِ الموريسكيين يُدعى بصيام العقوبة أو صيام الصابرين ، يمتنع فيهِ الموريسيكي عن الأكل والشرب ثلاثة أيام بلياليها ، وكان هذا الصيام يفرض كعقوبة على جرائم فضيعة قد يرتكبها الموريسيكي ، إذ أنّ المعاقب إذا عاش بعد هذهِ الأيام الثلاثة يكون ذنبهِ قد غُفر، إما إذا مات أثناء أيام الصيام فهو يذهب إلى جهنم لأنهُ لم يتطهر من ذنبهِ ولم يُغفر له[٢٦] .

واصل الموريسيكيون اهتمامهم وتقديسهم إلى بعض المناسبات الدينية ، إرضاءً لله سبحانه وتعالى ، وإتباع سنة النبي الأكرم مُحَّد صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم ، وتأكيد هويتهم الإسلامية متمثلاً في صيام ليلة النصف من شعبان حيث يلبسون الجديد من ثيابهم ويعطرون ملابسهم ودورهم وقد عُثرَّ على نص موريسيكي يؤكد أهمية هذه الليلة عند الموريسيكيون جاء فيه: " عباد الله إن ليلة النصف من شعبان لها شأن عظيم وقدر كبير ففيها يرفع الله إليه الأعمال ويكتب الآجال والأرزاق ويتجلى الله فيها على عباده وينزل عليهم نعمته ويتكرم عليهم بالعتق من نار جهنم"[٢٧] .

---

[٢٣] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٦٧ .

[٢٤] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢١١ .

[٢٥] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٦٧ .

[٢٦] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢١١ .

[٢٧] عبد اللطيف ، الهوية الإسلامية للمورسيكيين ، ص١٥١-١٦٨ .

بناءً على ما تقدم يتضح أنَّ الموريسكيون تحدوا الإجراءات القمعية والانتهاكات الصارخة ووسائل التعذيب الشديدة التي كانت تتخذها السلطات الاسبانية ضدهم لأجل الحد من انتشار الإسلام ، أو سلخ الموريسيكيون من هويتهم الدينية أو عقيدتهم الإسلامية ، وواظبوا على صيام شهر رمضان كاملا دون انقطاع ، لا بل تعدوا في ذلك وأحيوا مناسبات دينية وصاموا فيها مُتحدين السلطات الاسبانية وممارساتها القمعية . ولا يتفق الباحث مع ما يطرحهُ الباحث أرينال من رأي إذ يقول : أنَّ الموريسيكيين لم يصوموا شهر رمضان كاملاً وأنَّ الأكثرية منهم تكتفي بصيام أثنا عشر يوماً أو خمسة عشر يوماً ، تفادياً للشكوك أو الوقوع بأيدي السلطات الأسبانية[٢٨] .

واظبَّ الموريسيكيون على إحياء الشعائر الدينية التي ترافق صيام شهر رمضان ،من صلاة وقراءة القرآن ، واعتكاف ولعلَّ اعتكافهم كان يُطبق في المنازل إذ لا مساجد لهم في ظل الحكم الاسباني ، فقد اعتاد الموريسيكيون على صيام تسعة أيام بلياليها يخصصها الموريسيكي للعبادة والصلاة الصيام فيظل المسلم الموريسيكي في بيته دون أنّ يغادره ، إلا لأجل قضاء حاجة ، أو لشراء الطعام إذا لم يوجد ما يـوفره إليهِ ، ولم ينفرد الرجل الموريسكي بهذهِ الحـــالة بـــل كـــان للمرأة الموريسكية نصيباً وافراً منها [٢٩] . ولم تكُن ليلة السابع والعشرون من شهر رمضان ( ليلة القدر) بعيدة عن فكر الموريسيكيون الديني ، فقد أحيا الموريسيكيون هذهِ الليلة وكانوا يكثرون من قراءة القرآن وذكر الدعاء وكثرة الصلاة والتي ذُكرت بأنها خمسة عشر ركعة تؤدي للنبي مُحَّد (ص) ، ولأبنتهِ فاطمة الزهراء عليها السلام ، ويكون ذلك بالنظر إلى الأرض ووضع اليدين على البطن وقراءة سورة الكوثر ، وسورة الفلق وسورة الناس ، وبعد الانتهاء من قراءة هذه السور يجلس الموريسيكي على ركبتيهِ ويقول : (( اللهم أنك وعدت في القرآن الكريم أنَّ تسمع من يدعوك ، وأنَّ تستجيب لمن يعبدك ، أنا عبدٌ من عبيدك وقفت ببابك أطلب الجنة لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات ))[٣٠] .

ظلَّ الموريسيكيون عرضة للكثير من الوشايات التي تشكك في صدق اعتناقهم للديانة المسيحية ، فكثيراً ما كانوا يتعرضون لإجراءات تعسفية من قبل السلطات الاسبانية وعمال محاكم التفتيش جراء التزامهم بصيام شهر رمضان ،واحتفاظهم في الدين الإسلامي، ونظراً للتعايش بين الموريسيكيون

[٢٨] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٦٦ .

[٢٩] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢١٠ .

[٣٠] أرينال ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص١٠١-١٠٢ .

والنصارى في مجتمع واحد وممارستهم مهنة النقل وما يُصاحب هذهِ المهنة من صعاب ومضايقات قد تؤدي إلى افتضاح أمرهم وكشف إسلامهم ، لذلك منحَ فقهاء الموريسيكيون تسهيلات كثيرة على فريضة الصيام، فإذا أضطر الموريسيكي مصاحبة النصراني في الطريق لمسافة ١٦ فرسخاً[٣١] ، وحلَّ وقت الغداء فليعتذر الموريسيكي عن الأكل بكلمات رقيقة ، وإذا لم يتمكن من ذلك فليأكل حتى لا يتعرض لخطر الوشاية أو الشكوى ، لكن بمقدار قليل جداً لا أنّ يبالغ في الأكل والشرب ، وعليهِ أنّ لا يعود إلى الأكل والشرب في ذلك اليوم ، إلا إذا ضايقهُ النصراني حتى لا يعلم أنَّهُ يؤدي فريضة الصيام ليكمل يومهُ وليقضِ ما فاتهُ عندما يتمكن ، وأنّ كثرت الأيام التي يسافر فيها أو يصحب فيها النصراني فليفعل ذلك وعليهِ إلا يقوم أو ينام إلا وهو ينوي صيام ذلك اليوم ، فقد يتمكن التخلص من دعوة النصراني ، وإذا بالغَ الموريسيكي في الأكلِ ، أو أكلَ كثيراً بحجة أنّ صومهِ فسدَّ فعليهِ الكفارة والمتمثلة بصيام شهرين أو تحرير رقبة أو إطعام ستين مسكيناً، والذي يأكل خوفاً يمكنه أنّ يأكل ، ولكن عليهِ إلا يفعل ذلك إلا تلبية للدعوة ، وحتى يحافظ على نفسهِ ، وإذا أكل ما يزيد عن ذلك بحجة أنّ صومه فسد فعليهِ الكفارة ، وإذا مات أحد الموريسيكيين خلال شهر رمضان وأنّ يكون هذا الموريسيكي قد أفطر أياماً لمرضهِ ، فيتوجب أنّ يقوم أقرب الورثة بصوم الأيام التي فاتت المتوفى ، أو أنّ يتصدق عن كل يوم أفطره المتوفى ٤ــ١١ مكيالاً[٣٢] من القمح[٣٣] .

أما ما يخص طعام الموريسيكيين في شهر رمضان ، فمن المؤسف أنَّ المصادر التاريخية تفتقر إلى معلومات كثيرة تخص هذا الشأن ويكاد المؤرخ أرينال ينفرد في ما ذكره بهذا الخصوص ، إذ يقول : أن الموريسيكيون يستيقظون قبل شروق الشمس ( السحور) ، ويأكلون العصيدة وخبزاً من الشعير أو الذرة ، والعنب والتفاح والزبيب ، ولحماً أعُد على الطريقة الإسلامية ، أو ما توفر لديهم من طعامٍ[٣٤] ، ويُذكر أنّهم كانوا يفضلون أكل الفطائر التي كان يطلقون عليها مصطلح ميثقيمى أو الميثغيمئ ، ويتناولونها عند السحور وفي الاحتفالات أيضاً ، وهذهِ الفطائر كانت تُصنع من العجين ، مُضافٍ إليهِ الزيت والجبن ، ثم يُترك الخليط ، لقليل من الوقت بعدها يوضع على نار هادئة لينضج المزيج ثم يُقطع إلى قطع صغيرة

[٣١] الفرسخ : وحدة طول تساوي ثلاثة أميال ، كل ميل يساوي ألف باع ، وكل باع يساوي أربعة اذرع شرعية ، أي أن طول الفرسخ يساوي ٦ كم . ينظر : هنتس ، المكاييل والأوزان ، ص٩٤ .

[٣٢] المكيال : وحدة لقياس الوزن تختلف بين دولة وأخرى . ينظر : هنتس ، المكاييل والاوزان ، ص٧٠-٧١ .

[٣٣] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢٠٧ .

[٣٤] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٦٦ ؛ ص٩٠ .

فتكون جاهزة للأكل[٣٥] . علماً أن تناول الطعام في وقت السحر هو جريمة كبرى كانت السلطات الاسبانية تعاقب على من يرتكب هذا الفعل بعقوبات قد تصل إلى حد الإعدام . وقد عُثر في أحدى سجلات محاكم التفتيش الاسبانية على وثيقة تعُد من أغرب الوثائق التي تخص الموريسيكيين، إذ تضمنت طائفة من القواعد والأصول التي رأت تلك المحاكم أنّ يأخذ بها الموريسيكيين في تهمة الكفر والمروق والتطاول على الديانة النصرانية[٣٦] ، وهذهِ الوثيقة عبارة عن لائحة طويلة تتكون من ستة وثلاثين مظهرًا من المظاهر الإسلامية التي وجب الإخبار عنها ومعاقبة مرتكبيها ، ومنها: "إذا قاموا بصيام رمضان، وراعوا ذلك أثناء عيد الفصح، وسلموا بعض الصدقات، وأنهم لم يأكلوا ولم يشربوا حتى يلاحظوا النجمة الأولى، إذا قاموا بالسحور، واستفاقوا ليأكلوا قبل طلوع النهار، أو غسلوا أفواههم ورجعوا إلى فراشهم"[٣٧]. وقد حفلت محاكم التفتيش الاسبانية بقضايا وتهم طالت الموريسيكيون لأنهم ارتكبوا بعض ما جاء في هذهِ اللائحة ، وذكر أنَّ محكمة تفتيش قرطبة قدمت شكوى ضد امرأة موريسيكية تدعى إيزابل بارث *Isabel perez*، لأنها استيقظت لتناول السحور وجيء بهذهِ المرأة واعترفت بذلك[٣٨] .

ومن خلال ذلك يتضح للقارئ مدى المعاناة الكبرى التي كان يعانيها الموريسيكيين في صيام شهر رمضان .

**مراسيم العيد عند الموريسيكيون .**

اعتاد الموريسيكيون بعد الانتهاء من صيام شهر رمضان ، أنّ يقوموا بأداء صلاة العيد سراً في سراديب تحت الأرض أو في مناطق نائية بعيدة عن الوشاة ، خوفاً أن يُفتضح أمرهم وينكشف أسلامهم ويقعوا بيد السلطات الأسبانية ، ولأجل ذلك كانوا يلبسون أفضل الملابس ويتعطرون بأحسن العطور ، ثم يبدأ الموريسيكي بالدعاء لله سبحانه وتعالى قائلاً : اللهم تقبل صيامي وأرحم ضعفي واغفر ذنوبي ، اللهم وضعت فيك أملي وخضعت لك ووكلت نفسي إليك وعلى رزقك أحيا ، اللهم انقضى شهر رمضان الذي يجزي فيهِ كل العباد ، اللهم أرض عني في رمضان ، وأجعله مغفرة لذنوبنا ولمن تريد معاقبتهم بذنوبهم وتقبل أعمالنا فيهِ يا رحيم يامن وسعت قدرته كل شيء ، اللهم بارك على نبيك

[٣٥] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص٩٩ .

[٣٦] هلايلي ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص١٥-١٧ ؛ الميلق ، تأثير ثورات الموريسكيين ، ص٥٤-٥٥ .

[٣٧] عنان ، نهاية الأندلس ، ص٣٢٨-٣٢٩ .

[٣٨] دونثال ، تطبيق الموريسكيين ، ص ١٧١ .

المختار ، وأغفر للمؤمنين الذين قاسوا وأظهروا تقواهم بالتصدق على الفقراء[٣٩] ، فكانوا يدفعون زكاة الفطر إذ التزم الموريسيكيون بدفع زكاة الفطر وأعدوها واجباً على الكبير والصغير ، حراً كان أم عبداً حتى أنهم دفعوا عن الجنين الذي في بطن أمهِ واعتبروها واجباً مكملاً لصيام شهر رمضان ، فضلاً عن قيام بعضهم بدفع الصدقة التطوعية من باب الورع والتقوى ، وقد حدد فقهاء الموريسيكيون زكاة الفطر بنصف صاع[٤٠] من تمرٍ أو صاعٌ من شعيرٍ، قابلة للزيادة متى ما أوسع الله على الناس[٤١]، ولعلَّ ذلك مؤشراً واضحاً على تنامي ظاهرة التكافل الاجتماعي في المجتمع الأندلسي وتطورها بشكل ملحوظ .

كذلك اعتاد أبناء وبنات الموريسيكيين على تقبيل أيادي آبائهم في يوم العيد ، والآباء يباركون أبنائهم وبناتهم فيضعون أيديهم على رؤوسهم ويقولون : جعلكم الله مؤمنين صالحين أو مؤمنات صالحات ، ثم يبدأ الموريسيكيون بالتزاور فيما بينهم ومصافحة بعضهم البعض والدعاء فيما بينهم ، ويطلب كل مسلم من أخيهِ المغفرة قائلاً : غفرَ الله لي ولك[٤٢] .

---

[٣٩] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢٠٩ – ٢١٠ .

[٤٠] الصاع وحدة وزن حُددت بأربع أمداد . وللمزيد من المعلومات ينظر : هنتس ، المكاييل والاوزان ، ص٦٣ .

[٤١] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص٢٢٠-٢٢٩ .

[٤٢] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص١٠٠ .

## قائمة المصادر والمراجع

### قائمة المصادر .

**الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .**

معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٧ .

**الحميري ، مُحَمَّد بن عبد المنعم ، ( ت حوالي ٧١٠هـ/ ١٣١٠م) .**

الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط٢ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٤ .

**مجهول ، مؤلف ( كان حياً في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي)** .

نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر ، ط١ ، تحقيق مُحَّد رضوان الداية ، دمشق ، ١٩٨٤ .

**المقري ، أحمد بن مُحَّد المقري التلمساني ، (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)** .

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨

**قائمة المراجع العربية** .

**بشتاوي ، عادل سعيد** .

الأندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، مطابع أنترناشيونال برس ، القاهرة ، ١٩٨٣.

**حتاملة ، مُحَّد عبدة**

– الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة ، طباعة مطابع الدستور التجارية ، عمان ، ٢٠٠٠ .

**طه ، عبد الواحد ذنون** .

حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة ، دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، ٢٠٠٤ .

**رائف ، أحمد** .

وتذكروا من الأندلس الإبادة . ط٢ . القاهرة ، دار الزهراء للأعلام العربي ، ١٩٩١م .

**السامرائي وآخرون** .

تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ط١ ، المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي ، بيروت ، ٢٠١٤ .

**سراج الدين ، إسماعيل** .

التراث الموريسكي المخطوط (بحوث مترجمة عن الأسبانية ) ، ترجمة وتعليق مُحَّد مُحَّد عبد السميع ، مكتبة الأسكندرية ، القاهرة ، ٢٠١٥ .

**عبد الكريم ، جمال** .

الموريسكيون تاريخهم وأدبهم ، الناشر مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، د.ت .

**عنان ، مُحَّد عبد الله** .

نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ط٢ ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٨ .

**قشتيليو ، مُحَمَّد .**

الموريسكيون في الأندلس وخارجها ، منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات ، سلسلة المعرفة الأندلسية ، مطبعة الأمنية ، الرباط ، ٢٠٠٨ .

**الكتاني ، علي المنتصر .**

انبعاث الإسلام في الأندلس ، ط١، مجمع البحوث الإسلامية ، الجامعة ا؟؟لإسلامية العالمية ، إسلام آباد ، باكستان ، ١٩٩٢ .

**المراجع الأجنبية المترجمة**

**أرينال ، مرثيدس غارثيا**

محاكم التفتيش والموريسكيون (محاضر محكمة كونيكا ) ، ط١ ، ترجمة خالد عباس مراجعة جمال عبد الرحمن ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .

**براتشيا ، دون باسكوال بورنات**

الموريسكيون الاسبان ووقائع طردهم ، ترجمة كنزة الغالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٢ .

**كارديك ، لوي .**

الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية (١٤٩٢-١٦٤٠) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا ، تعريب عبد الجليل التميمي ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات ، زغوان ، ١٩٨٩ .

**لونغاس ، بدرو .**

حياة الموريسيكيين الدينية ، ترجمة جمال عبد الرحمن ، ط١ ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٠ .

**هنتس ، فالتر .**

المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، دليل الإشراق ، عمان ، ١٩٧٠ .

**الرسائل والاطاريح والبحوث المنشور .**

**الحايك ، سيمون .**

الدراسات الموريسكية في الخمسة والعشرين سنة الأخيرة في اسبانيا ، بحث منشور في أعمال المؤتمر العالمي للدراسات الموريسكية الأندلسية حول وضعية الدراسات الموريسكية الأندلسية في العالم خلال الثلاثين سنة الماضية ، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي ، زغوان ، ١٩٩٥ .

**دونثال ، خوان أرندا** .

تطبيق الموريسيكيين للشعائر الإسلامية من خلال محاكم تفتيش قرطبة ، ترجمة رضا ميامي ، بحث منشور في إعمال المؤتمر العالمي الثالث للدراسات الموريسيكية الأندلسية حول تطبيق الموريسيكيين الأندلسيين للشعائر الإسلامية ١٤٩٢-١٦٠٩م ، تحت إشراف عبد الجليل التميمي ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسيكية والتوثيق والمعلومات ، زغوان ، ١٩٩١ .

**ريناو ، مار غوميث** .

اللغة الأعجمية وآدابها بديل إسلامي للإسبانية ، بحث منشور ضمن كتاب التراث الموريسكي المخطوط ، ترجمة وتعليق مُحَمَّد مُحَمَّد عبد السميع ، الاسكندرية ، مصر ٢٠١٥ .

**عبد اللطيف ، سري مُحَمَّد** .

الهوية الإسلامية للمورسيكيين من خلال الأدب الألخميادو ، بحث منشور في أعمال المؤتمر العالي الخامس للدراسات المورسيكية الأندلسية حول الذكرى الخمسمائة سنة لسقوط غرناطة ١٤٩٢م_١٩٩٢م ، ج٢، تحت أشراف عبد الجليل التميمي ، زغوان : منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسيكية والتوثيق والمعلومات ، تونس، ١٩٩٣.

**الميلق ، عبد القادر** .

تأثير ثورات الموريسكيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الأسبانية ٨٩٧-١٠١٧هـ/ ١٤٩٢-١٦٠٩م ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والأجتماعية ، جامعة غرداية ، ٢٠١٣ .

**هلايلي ، حنيفي** .

المورسيكيون الأندلسيون في الجزائر خلال القرنين ١٦-١٧م ، رسالة ماجستير، جامعة وهران ، ١٩٩٩

**الخاتمة**

١- بذلت السلطات الاسبانية كل ما بوسعها لتنصير المسلمين وإبعادهم عن دينهم الإسلامي ، إلا ان محاولاتهم باءت بالفشل ، إذ احتفظ الموريسيكيون بدينهم وعقيدتهم ومارسوا فرائض الإسلام بشكل سري .

٢- أنَّ هوية الموريسيكيين الإسلامية لا يستدل عليها فقط من خلال تطبيقهم لمبادئ الدين الإسلامي ، بل يستدل عليها أيضاً من خلال عاداتهم وتقاليدهم الإسلامية التي سعت السلطات الاسبانية لتجريدهم منها ، إلا إنها فشلت في تحقيق هذا المسعى .

٣- يُعد صيام شهر رمضان واحداً من العبادات الأكثر رسوخاً في حيات الموريسيكيين الدينية ، وصارَ سمة مميزة لهويتهم الإسلامية إذ حافظَ الموريسيكيون على صيام هذا الشهر الفضيل، والالتزام باحكامهِ وإحياء شعائرهِ الدينية .

٤- لم يكتفِ الموريسيكيون في صيام شهر رمضان فقط بل تعدوا وصاموا أيام أُخر من السنة ، مُتحدين وسائل القمع والتعذيب التي كانت تتخذها السلطات الاسبانية في الحد من انتشار الإسلام والقضاء عليهِ والعمل على تنصير الموريسيكيين وسلخهم من هويتهم الدينية .

٥- كان لأدب الالخميادو دوراً مهمً في تجسيد المظاهر الإسلامية ومبادئ الدين الإسلامي وتوعية الناس في توضيح أهمية شهر رمضان وما لهذا الشهر الفضيل من مكانة كبيرة عند الله وفي نفوس المسلمين .